سجون بغداد
زمن العباسيين
للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ٥ —

ب — كسر السجون :

وكان يحدث كثيراً أن يكسر السجناء أو العامة السجن ويخرج مَنْ في السجون ، كلما غضبت العامة ، أو ثار الجيش ، أو قامت فتنة في البلد . وكثيراً ما نقرأ في الطبري « وفي هذه السنة كسر العامة السجن ... » فمن ذلك أنه لما خرج الراوندية على أبي جعفر المنصور ، ، وكانوا قوماً يقولون بتناسخ الأرواح ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور[1] ، أخذ أبو جعفر رؤساءهم فحبسهم . فأقبلوا يطوفون حول قصر الخلافة وقد غضبوا . وأعدوا نعشاً ، وحملوا السرير ، وليس في النعش أحد ، ثم مروا في المدينة حتى صاروا على باب السجن ، فرموا بالنعش ، وشدّوا على الناس ، وكسروا باب السجن فدخلوا وأخرجوا أصحابهم[2] .

ولما شغب الجند على الأمين نقب أهل السجون سجونهم وخرجوا منها فلم يجازم أحد[3] . وحاول أهل السجن أن يشغبوا زمن المأمون ، وأن ينقبوا السجن . فسدوا الباب من داخل ولم يدعوا أحداً يدخل عليهم ، وأخذوا في نقب السجن . فلما كان الليل ، وعلا شغبهم وصوتهم ذهب المأمون ، فدعا بنفر من الشُطّار وأصحاب الشغب في السجن ، فضربت أعناقهم ، وصُلبوا على الجسر[4] .

وفي زمن المستعين سنة ٢٤٩ اجتمع العامة في بغداد بالصراخ والنداء بالنفير ، وانضمت إليها الشاكريه ، ففتحوا سجن نصر ابن مالك ، وأخرجوا من كان فيه . وانتهب ديوان قسم الحبس ، وقطعت الدفاتر وألقيت في الماء[1] .

وفي زمن المهتدي (٢٥٥) اجتمع جماعة من الجند والشاكرية ومعهم جماعة من العامة ، حتى صاروا إلى سجن باب الشام ، فكسروا بابه في الليلة الثالثة عشرة من رمضان ، وأطلقوا أكثر من كان فيه . ولم يبق من أصحاب الجرائم إلا الضعيف والمريض والمثقل[2] .

وفي زمن المعتمد سنة (٢٧٢) نقب المطبق من دلخلة وفر بعض المسجونين[3] .

وقبيل وفاة الموفق سنة ٢٧٨ قامت العامة فانتهبت دار إسماعيل ابن بلبل ، وفتحت الجسور وأبواب السجون ، ولم يبق أحد في المطبق ولا في الجديد إلا أخرج[4] .

وفي سنة ٣٠٦ شغب أهل السجن الجديد ، وصعدوا السور فركب نزار بن محمد صاحب الشرطة وحاربهم وقتل منهم واحداً ورمى برأسه إليهم فسكنوا[5] .

ويذكر الخطيب البغدادي أنه في سنة ٣٠٧ كسرت العامة الحبوس في مدينة المنصور ، فأفلت من كان فيها . وكانت الأبواب الحديد التي للمدينة باقية فغلقت وتتبع أصحاب الشرط من أفلت من الحبوس فأخذوا جميعاً حتى لم يفتهم منهم أحد[6] .

وفي زمن المقتدر سنة ٣٠٨ غلت الأسعار ببغداد ، وشغب العامة ، ووقع النهب ، وركب الجند فيها ، وشتتهم العامة ، وأحرقت الحبس وفتحت السجون[7] .

ولعلك لاحظت أن كسر السجون كان نتيجة الشغب والفتن وعصيان الجند ، وغلاء الأسعار ، واضطراب العامة . وهذه أمور كانت مما امتاز به العصر العباسي الثاني . وقد كان للأتراك الشأن الكبير فيها . ولن نورد كل ما ذكره المؤرخون فحسبنا ما ذكرنا .

(١) الفخري في الآداب السلطانية ص ١٨٨ .
(٢) الطبري حوادث سنة ١٤١ ج ١٠ ص ١٣٠ .
(٣) الطبري حوادث سنة ١٩٦ ج ١١ ص ٨٦٧ .
(٤) تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٧٨ .

(١) الطبري حوادث سنة ٢٤٩ ج ١٢ ص ١٥١٠
(٢) الطبري حوادث سنة ٢٥٥ ج ١٢ ص ١٧٢٨
(٣) الطبري حوادث سنة ٢٧٢ ج ١٣ ص ٢١٠٩
(٤) مروج الذهب ٢ ـ ٤٦٠
(٥) المنتظم لابن الجوزي ٦ ـ ١٤٦
(٦) تاريخ بغداد ١ ـ ٧٥ ، ولسترانج ص ٤٨
(٧) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٥٢

٣ — موت الخليفة :

وكانوا يطلقون السجناء لموت الخليفة أو عزل الوزير : حدّث التنوخي عن أحمد بن المدبر قال : « لما سجنت مع أحمد بن إسرائيل ، وسليمان بن وهب معاً ، قال لي سليمان ذات يوم : رأيت البارحة في نومي كأن قائلا يقول لي : « يموت الواثق إلى ثلاثين ليلة . فلما كان يوم الثلاثين ، وكان الليل ، لم نشعر بالباب إلا وقد دُقّ دقاً شديداً ، وصاح بنا صائح : البشرى ، قد مات الواثق فاخرجوا[1] » .

وربما أطلق الخليفة الجديد المسجونين زمن الخليفة السابق كما فعل المهدي . فقد أمر بإطلاق من كان في سجن المنصور إلا من كان قبله تباعة من دم أو قتل ، أو معروفاً بالسعي في الأرض بالفساد . فأطلقوا من في المطبق[2] .

وأطلق المقتدر أهل الحبوس الذين يجوز إطلاقهم ، وأمر محمد بن يوسف القاضي أن ينظر في ذلك[3] .

وذكر ابن الجوزي أن الراضي لما ولي الخلافة أمر بإطلاق من كان في حبس القاهر ، فأطلقوا جميعاً[4] .

وربما يطلقون لعزل الوزير أو موته . حدّث محمد بن الحسن الكاتب صاحب الجيش قال : « قبض محمد بن القاسم بن عبيد الله ابن سليمان بن وهب ، في وزارته للقاهر على أبي وعليّ معاً . فحبسنا في حجرة من دار ضيقة ، وأجلسنا على التراب ، وشدد علينا . فقال لنا الموكلون بنا ذات يوم : قد عزم الوزير على قتلكما الليلة ... فتغير حالي ، وقام أبي يدعو الله ويصلي ، فلما مضى ربع الليل سمعت الباب يدق ، فذهب عني أمري ، ولم أشك أنه القتل . وفتحت الأبواب ، فدخل قوم بشموع ، فتأملت فإذا فيهم سابور خادم القاهر . فقال أين أبو طاهر ؟ فقام أبي وقال ها أنذا . فقال : أين ولدك ؟ قال : هو ذا . فقال انصرفا إلى منزلكما . وإذا هو قد قبض على الوزير محمد بن القاسم ، وأحدره إلى دار القاهر ، وانصرفنا . وعاش محمد في الإعتقال ثلاثة أيام ومات[5] .

(١) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ١٤٩
(٢) الطبري ، حوادث سنة ١٥٩ ج ١٠ ص ٤٦١
(٣) المنتظم لابن الجوزي ج ٦ ص ١٩
(٤) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٦٦
(٥) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ٥٢ — ٥٣

٤ — العفو :

وقد يطلق المسجون بعفو من الخليفة . مثال ذلك ما حكاه المسعودي ، قال : ذكر عبدالله بن مالك الخزاعي ، وكان صاحب شرطة الرشيد قال : أتاني رسول الرشيد في الليل . فارتعت .. فلما مثلت بين يديه ، قال : إني رأيت الساعة في منامي كأن حبشياً قد أتاني ومعه حربة ، فقال إن لم تخلّ عن موسى بن جعفر الساعة — وإلا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخلّ عنه ، قال فمضيت إلى الحبس وأطلقته[1] .

ومن الطرافة أن تقرأ هذه المنامات ، وترى كيف يطلق السجناء بعدها . وقد سرد قبلا كثيراً منها التنوخي في الفرج الشدة[2] .

٥ — الاحتيال :

وقد يحتال المسجون بحيلة لينجو . ذكر ابن طيفور أن طاهر بن الحسين كان يتعشق بخراسان جارية من جيرانه يقال لها « ديذا » وكانت توصف بجمال عجيب ، وكان يختلف إليها . ولما — صار إلى مدينة السلام ، وقع في سجنه جار لديذا بجرم خفيف ، وطال حبسه ، ولم يعرف أحداً يشفع فيه ، فاحتال لرقعة لطيفة ، أرسلها إلى طاهر ، وتوسل إليه بجوار ديذا فلما قرأها كتب في ظهرها :

ويا جار ديذا لا تخف سجن طاهر
فواليك لو تدري عليك شفيق
أيا جار ديذا أنت في سجن طاهر
وأنت لديذا قاعلمن طليق[3]

ولما سجن عزّ الدولة ، إبراهيم بن هلال الصابيء ؛ احتال هذا على الخروج بأن ألف له مصنفاً في أخبار آل بويه وهو التاجي ، فخرج[4] .

(يتبع) صلاح الدين المنجد

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٦٩
(٢) انظر الفرج بعد الشدة . ج ١ ص ١٤٠ ، ١٦٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ...
(٣) تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١١٨ ، وأنظر حادثة أخرى فيه ص ٢٥ .
(٤) تاريخ الحكماء للقفطي ص ٢٦ .